المحاضرة الأولى:مفهوم الشعر:

مفهوم الشعر: يرجع اهتمام العرب بالشعر إلى ما قبل الإسلام، فالعرب يفتخرون بلغتهم ويتناقلون الشعر شفاهيا كونهم أمة بيان وفصاحة، وبالاعتماد على أذواقهم، أقاموا الأسواق للتحكيم فيها بين الشعراء والمفاضلة بينهم.

لقد أدرك العرب دور الشعر وأحسوا بتأثيره،مما جعلهم يتخذونه سلاحا يدافعون به عن أنفسهم وعن قبائلهم،فالقبيلة حسب ابن رشيق المسيلي(ت 406هـ) «**إذا نبغ فيها شاعر أتت قبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة،واجتمع النساء يلعبن بالمزامير كما يصنعن في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم[...] وكانوا لايهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم**»

1

وبمجيئ الإسلام نال الشعر درجة عالية من التقدير خاصة في ظل عملية التعريب والترجمة بجميع خلفياتها اللغوية والثقافية،فمع بداية عصر التدوين وجمع القرآن ،اعتبر الشعر رافدا قويا ومهما في شرح القرآن وتفسيره وفهمه، حيث كانوا يرجعون إليه لفهم معاني القرآن وشرح غريب ألفاظه،وفي هذا الصدد يقول ابن عباس:« إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله، فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب وكان إذا سُئل عن القرآن أنشد الشعر»[2]

وقد عرّف **ابن قتيبة** (ت267هـ) الشعر في قوله :« **الشعر علم العرب وسفر حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجور على مفاخرها والشاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام، ومن لم يقدم عنده على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفِعال الحميدة بيتٌ منه شذت مساعيه وإن كانت مشهورة ودرست على مرور الأيام وإن كانت جساما ومن قيدها بقوافي الشعر وأوثقها بأوزانه وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف ، أخلدها الدهر وأخلصها من الجحد ودفع عنها كيد العدو وغض عين الحسود**»[3]

فابن قتيبة لم يضع مفهوما عاما للشعر، حيث لم يضمن الشعرالعربي كله في تعريف فقوله معدن العرب لأن فيه تاريخهم وحكمتهم وأغانيهم أي أن الشعر كان أفضل العلوم العربية ومصدرها الأصيل.

كما يرى البعض من النقاد أن الشعر صناعة،من مثل:ابن رشيق،وأبو هلال/ العسكري،وحازم القرطاجني،وابن سلام الجمحي، وفي هذا الصدد يقول **ابن سلام الجمحي**:« **للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما يثقفه العين، ومنها ما يثقفه الأذن، ومنها ما يثقفه اليد، ومنها ما تثقفه اللسان**»[4]

ويضيف **الجاحظ(ت255هـ)** كذلك معرفا الشعر واصفا إياه بالصناعة، حيث يقول :« **إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير**»[5] ، فيتحدث هنا عن الشعر كونه صناعة وضرب من الصيغ وجنس من التصوير، والمعاني المطروحة في الطريق وتكون الشعرية عنده بإقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء،وفي صحة الطبع وجودة السبك.

أما **قدامة بن جعفر** (ت337هـ)،ويعتبر من أوائل النقاد الذين كام لهم إسهام في المنطق والفلسفة،فهو من أسرة مسيحية كانت تعيش في البصرة اعتنق الاسلام على يدي الخليفة العباسي المكتفي بالله،حيث كان متشبعا بالثقافة اليونانية،لاسيما كتب أرسطو،كما يعتبر أول من عرّف الشعر تعريفا اصطلاحيا حيث يقول :« **إنه كلام موزون مقفى دال على معنى**»[6]، ثم يشرح ذلك قائلا:(فقولنا: **قول**:دال على معنى أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر،وقولنا: **موزون**:يفصله مما ليس بموزون،إذ كان من القول موزون وغير موزون،وقولنا: **مقفى**:فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف،وبين ما لاقوافي له ولا مقاطع،وقولنا: **يدل على معنى**: يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى)[7].

فقدامة يركز على الوزن والقافية على الرغم من أنه توجد عناصر أخرى غيرهما مهمة في البناء الشعر ومنها العاطفة والخيال والشكل الفني،والتي تعتبر عناصر مهمة للشعر،ومن أهم مقوماته.[8]

كما أنه من خلال هذا التعريف يعطي للشعر خصائص أسلوبية وفعالية فردية،ويضيف قائلا :« **لما كان الشعر صناعة وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال،إذا كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن،إن أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة**»[9]

ويضيف **ابن رشيق** في قوله حول عناصر البناء الشعري :«**الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء هي:اللفظ والوزن،والمعنى والقافية،فهذا هو حد الشعر؛لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر لعدم القصد والنية.**»[10]

أما جار الله الزمخشري،نقد عرفه في كتابه(الكشاف) بقوله :« **إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى، فأين الوزن وأين القفية وأين المعاني التي ينتجها الشعراء من معانيه، وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه.**»[11]

كما عرفه **ابن سينا** بقوله.« **كلام مخيل مؤلف من أقوال متساوية متفاة**»[12].

أما **السيوطي** فعرفه بقوله:«**الشعر ديوان العرب وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب القرآن، وغريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث صحابته والتابعين، وقد يكون شاعر أشعر وشعر أحلى وأظرف، فإما أن تتفاوت الأشعار القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا لكل يحتج وإلى كل من يحتاج، فأما الاختيار الذي يراه الناس للناس فشهوات، وكل يستحسن شيئا**»[13] ونفهم من هذا التعريف أن الشعر ديوان العرب.

والشعر قديم الفطرة عند العرب، وهو لا يكون شعراً حتى يستوفي صنعة اللفظ وفي هذا الصدد يقول **ابن رشيق المسيلي**:كان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة[...] فتوهموا أعاريض فصلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم قد شعروا به ،أي فطنوا له.[14]

أما **عبد القاهر الجرجاني**،وأثناء تعرضه لمفهوم الشعر،فقد ربطه بمفهوم النظم، وذلك من خلال مقارنته بالرسم والصناعة،وكيف يعمل الشاعر على انتقاء ألفاظه،وينتخب معانيه وصوره،مثلما يقوم به الرسام في مختبره، و الصانع في معمله،وكل هذا من أجل تقديم صورة تبسيطية للمتلقي، ليدرك طبيعة العمل الشعري،وفي هذا الصدد يقارن عبد القاهر الجرجاني نظم الشعر بالرسم والصناعة؛حيث يقول :«**ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء الوشي والتحبير وما أشبه ذلك.**»[15]فعبد القاهر هنا اعتبر صياغة الأسلوب ونظمه مثل صياغة الفنون الجميلة كالرسم مثلا،حيث جعلها وسيلة فنية من وسائل التشكيل الجمالي للغة العربية،شبيهة بالصبغ بالنسبة للرسام،وخيطا للحائك والخياط،وفي هذا الصدد يقول :«**نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض[...] مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض،حتى يكون لوضع كل حيث وُضع علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح**»[16]،فالشعر حسبه هنا يشبه الرسم كما يشبه الحائك في اختيار الاصباغ وتحديد مقاديرها وتوزيعها،كذلك الشاعر عليه أن يختار كلماته وينظمها ويؤلفها لتحقق له انسجاما.